نجيب محفوظ والسينما..

اهتمام بتصوير البيئة الشعبية وتقديم شخصيات واقعية وطرح مضامين اجتماعية

كتب : حسن حداد

نجيب محفوظ والسينما.. عنوان لابد أن يطرح في مثل هذا الوقت.. وقت رحيل هذا العملاق عن عالمنا تاركاً وراءه كماً زاخراً من الأدب والسينما.. قصص وروايات وأفلام، وملأ دنيانا العربية بحالات من الفرح والحزن والجدل، إن كان هذا من خلال أعماله الأدبية والسينمائية الزاخرة بالشخصيات المتنوعة.. أو من خلال حياته الخاصة.. فرحاً عندما حصل على نوبل للآداب، وحزناً عند محاولة اغتياله.

ونحن هنا في هذا الحيز البسيط.. لابد لنا من التحدث عن محفوظ في السينما.. فإسهامات هذا العملاق في السينما، لا يجاريه فيها أحد.. فبالإضافة إلى قيامه بالكتابة مباشرة للسينما، في بداية رحلته مع السينما، وكتابته للسيناريو عن أعمال أدبية لآخرين.. كانت رواياته قد ملأت الشاشة العربية، وتحولت أهمها إلى السينما بواسطة مخرجين كثر، عرب وأجانب، نجح العدد القليل منها في تقديم فكر وأدب نجيب محفوظ للمتفرج العربي والعالمي بشكل واضح.

هنا يمكننا تقسيم تجربة محفوظ في السينما إلى مرحلتين.. الأولى عندما بدأت مساهماته مع الراحل صلاح أبوسيف، رائد الواقعية في السينما المصرية، الذي نجح في تحفيز محفوظ على الدخول في تجربة كتابة السيناريو من خلال كتابته لسيناريو لفيلم (المنتقم) عام 1948. وبعدها مع أبوسيف وغيره من المخرجين في أفلام مثل (لك يوم يا ظالم، ريا وسكينة، الوحش، شباب امرأة، الفتوة، أنا حرة، بين السماء والأرض، جعلوني مجرماً، فتوات الحسينية، درب المهابيل، الطريق المسدود، احنا التلامذة).. وهي مرحلة سينمائية نجح فيها محفوظ مع مخرجي هذه الأفلام في تغيير خارطة السينما، وإعطائها منحى واقعياً شعبياً.. اتسم بالصدق في التعامل مع الأحداث والشخصيات المطروحة.. وكانت أفلام أبوسيف مثالاً خالصاً لإثبات ذلك.. ليكون محفوظ مكسباً حقيقياً للسينما المصرية.

عندما يتحدث صلاح أبوسيف عن تجربته مع محفوظ، يستطرد ويصفها بأنها متعة خاصة، حين يقول: (...ذلك إن علاقتي مع محفوظ بدأت مع بدايات محفوظ نفسه ككاتب واقعي بعد خروجه من مرحلة الرواية التاريخية، التقيت محفوظ للمرة الأولى في العام 1945 بعدما كنت سمعت باسمه كثيراً من أصدقاء كثر لم يكن الواحد منهم يخفي إعجابه به وبكتاباته. ولقد انضممت بدوري إلى نادي المعجبين به حين حصلت على رواياته الأولى وقرأتها. ومنذ لقائنا الأول الذي كان ودياً في شكل مدهش أبلغته إعجابي بأدبه، وقلت له -في طريقي- إنني أعتبره فناناً سينمائياً بالسليقة، ذلك لأن كتابته كتابة بصرية بالصور، وسألته فجأة: لماذا لا تكتب للسينما أستاذ نجيب؟ فوجئ الرجل بسؤالي وبدا عليه أن الأمر كله يقف عند اهتمامه وسألني مستنكراً: كيف أكتب للسينما وأنا لا أفهم شيئاً بالنسبة إلى هذه الكتابة؟ قلت له إن مخيلته تبدو وكأنها خلقت للعمل السينمائي، فابتسم وقد اعتقد -كما سيخبرني لاحقاً- بأن الأمر لا يعدو أن يكون حديثاً عابراً، أما أنا فكنت عند كلامي، إذ قررت ألا أترك تلك الإمكانية المتاحة للعثور على كاتب سيناريو حقيقي، تفلت من يدي، وهكذا ما إن التقيت به في المرة الثانية، حتى أعطيته مجموعة من الكتب الأجنبية المتحدثة عن فن كتابة السيناريو...).

أما المرحلة الثانية في تجربة محفوظ، فهي التي شملت الأفلام المأخوذة عن رواياته المنشورة.. فعندما بدأ المخرجون بالتصدي لرواياته، رفض رفضاً قاطعاً كتابة السيناريو لها، حتى مع صلاح أبوسيف نفسه.. وذلك عندما طلب منه أن يكتب السيناريو لرواية (بداية ونهاية).. بعدها بدأت روايات محفوظ تغزو السينما وتفتح أبواباً رحبة كانت موصدة بالتعامل مع الأدب الروائي.. فجاءت أفلام (اللص والكلاب، زقاق المدق، بين القصرين، الطريق، خان الخليلي، القاهرة 30، قصر الشوق، السمان والخريف، ميرامار، السراب، ثرثرة فوق النيل، السكرية) وانتهاء بـ (الشحات، الحب تحت المطر، الكرنك، الجوع، أهل القمة، الحب فوق هضبة الهرم، قلب الليل).. وما ذكرناه هنا يمثل فقط أفضل ما قدم عن أدب نجيب محفوظ.. حيث إن هناك الكثير من الأفلام التي شوهت العمل الروائي الأصلي، بل وقدمت فكراً، ربما يتناقض وما رآه محفوظ نفسه.

ما قدم في السينما المصرية على وجه الخصوص، من أدب نجيب محفوظ، يشكل زخماً ضخماً، يفوق ما قدم عن أدب الآخرين مجتمعين، وهذا بالطبع قد ساهم بشكل كبير في تغيير خريطة هذه السينما وإعطائها تلك الصبغة الأدبية، فكان هناك نحو عشرين رواية من روايات محفوظ اقتبست في قرابة سبعة وعشرين فيلماً سينمائياً (من بينها سبعة أفلام اقتبست عن "الحرافيش" واثنان عن "الطريق") إلى نحو تسعة أفلام مأخوذة عن قصصه الصغيرة. وإذا أضفنا إليها ما يزيد على خمسة وعشرين فيلماً كتب -أو شارك في كتابته- للسيناريو أو القصة السينمائية.. فإننا نكتشف المساهمة الفعالة لمحفوظ الأديب والسينمائي الحرفي في تاريخ صناعة السينما المصرية.

هنا.. يأتي التساؤل.. لماذا هذا الإقبال على تحويل أدب محفوظ بالذات إلى الشاشة..؟! وهكذا سؤال يجعلنا نبحث في أسباب هذا الإقبال الاستثنائي.. وهي بالطبع أسباب كثيرة ومتعددة الأوجه.. أهمها ذلك الاهتمام من نجيب محفوظ نفسه لتصوير البيئة الشعبية وتقديم شخصيات واقعية والطرح الاجتماعي النقدي ودقة السرد وتفصيل الأحداث.

ومما لاشك فيه بأن هذا التوجه الملحوظ من السينما لأدب محفوظ قد تزامن مع صعود تيار الواقعية في السينما المصرية.. حيث وجد صناع هذه الأفلام عالماً مليئاً بالأحداث والشخصيات الواقعية في معالجات محفوظ، إن كان من خلال موضوعاته التي تمحورت حول الظلم الاجتماعي والتمرد الفردي وعلاقة الحاكم بالمحكوم وصراع الأجيال، أو من خلال موضوعات نابعة من الحياة اليومية للمجتمع والفرد.. إلا أن الأهم في أدب محفوظ بالنسبة لهؤلاء هو ذلك العنصر المرئي وذلك التوصيف والتصوير البصري التفصيلي والدقيق للمكان والشخصيات. فمحفوظ في سرده الروائي لم يترك تفصيلاً من دون تصويره، مقدماً كماً هائلاً من الانفعالات والملامح النفسية للشخصية، هذا إضافة إلى قدرته الكتابية على الإيحاء بالأحداث وفقاً لصور ومشاهد متسلسلة ثرية بالتفاصيل الداخلية، لدرجة تحديده لزاوية النظر حين السرد.. وهذا بالطبع ما يحتاج إليه السينمائي لملء حيز الشاشة وتفاصيل الكادر.

الملاحظة الأخيرة التي سيصل إليها أي متابع لمشوار محفوظ مع السينما، هي أنه بالرغم من كتابته السيناريو مباشرة للسينما، إلا أنه لم يكتبه لأي من رواياته.. ولم يقم بالاقتباس أي منها للسينما، فما كتبه للأدب ظل للأدب، وما كتبه للسينما لم ينشره في كتب.. هذا بالرغم من محاولات الكثيرين ترغيبه لأن يفعل ذلك.

هامش:

ارتبط اسم نجيب محفوظ بمعظم أفلام صلاح أبوسيف، ليعتبر تجانساً أدبياً وفنياً واقعياً، أثمر أفلاماً سينمائية متميزة وقوية في المضمون الدرامي والتكنيك الفني، فالاثنان رائدان كبيران للواقعية، كل في مجاله.

وقد عمل الاثنان في أفلام كثيرة ليكونا ثنائياً فنياً ناجحاً. فقدما مع بعض: المنتقم (سيناريو)، مغامرات عنتر وعبلة (سيناريو)، لك يوم يا ظالم (سيناريو)، ريا وسكينة (سيناريو)، الوحش (سيناريو)، شباب امرأة (سيناريو)، الفتوة (سيناريو)، الطريق المسدود (سيناريو)، أنا حرة (سيناريو)، بين السماء والأرض (قصة)، بداية ونهاية (رواية منشورة)، القاهرة 30 (رواية منشورة)، شيء من العذاب (قصة)، المجرم (سيناريو).

عدسة

فريد رمضان

السينارست نجيب محفوظ

ثمة ملاحظة تستحق الدرس حول علاقة الروائي بالكتابة السينمائية، خاصة كتابة السيناريوهات، ذلك إن العديد من كُتّاب الرواية وضعوا العديد من السيناريوهات السينمائية، لسبب بسيط وهو أن كتابة السيناريو أو الأفلام تُحقق مردوداً مادياً لم تحققه الروائية لهم، حتى لأشهر الكُتّاب والروائيين، والدليل أن غابريال غارسيا ماكيز الذي اشتغل في كتابة السيناريوهات والكتابة الصحافية قبل أن يفوز بجائزة نوبل، ويحقق شهرة عالمية. هكذا فعل نجيب محفوظ في فترة من حياته أيضاً، حيث كان يكتب الأفلام، وفي الوقت نفسه كانت رواياته تشكل منبعاً هاماً للسينما المصرية التي ظلت تغرف من هذه الأعمال الأدبية وتحولها إلى أعمال سينمائية شكلت هوية لدى العديد من المخرجين المصريين مثل: صلاح أبوسيف وحسام الدين مصطفى، وحسن الإمام، حتى يوسف شاهين لم يستطع أن يتجاهل هذه الأعمال، حين أخرج فيلم الاختيار في العام 1971م. إن تجربة نجيب محفوظ في كتابة الأفلام السينمائية جاءت في فترة مبكرة من تاريخ السينما المصرية، كانت السينما بحاجة فيها إلى كاتب روائي يمتلك الحساسية العالية في التقاط ثيمات محلية وإعادة صياغتها فنياً لتتناسب مع السينما المصرية التي كانت قبل الأربعينيات من القرن الماضي تعتمد اعتماداً كبيراً على الاقتباس من القصص والروايات العالمية. لذلك فإن تجربة محفوظ ككاتب سيناريو تُشكل بحد ذاتها منعطفاً هاماً في تجربة هذا الروائي، خاصة وأن ثمة علاقة وطيدة بين السينما والرواية.

حين بدأ نجيب محفوظ مع نهاية الأربعينيات في أول تجربة سينمائية مشتركة كتبها مع المخرج صلاح أبوسيف وكان فيلم المنتقم في العام 1947م، تبعه بعد ذلك بمجموعة أخرى مع نفس المخرج حيث كتب لك يوم ياظالم والفيلم الشهير ريا وسكينة الذي اعتمد فيه على حساسيته الروائية في التقاط التحقيقات والأخبار التي تُنشر في الصحافة وإعادة صياغتها للسينما، والتي تتعلق بأشهر الجرائم التي ارتكبت في تاريخ مدينة الأسكندرية في الأربعينيات. هذا الفيلم الذي قدم نجيب محفوظ كسيناريست متفوق، إضافة إلى كونه روائي، فكتب بعدها جعلوني مجرماً مع المخرج عاطف سالم، و درب المهابيل مع المخرج توفيق صالح و شباب امرأة مع صلاح أبوسيف مرة أخرى و الفتوة و أنا حرة و جميلة بوحريد الذي أخرجه يوسف شاهين والعديد من الأفلام.

هكذا وجد نجيب محفوظ نفسه، يضع شخصيات المجتمع الفقير بتنوع مشاكله وقضاياه الاجتماعية على الشاشة السينمائية، مؤسساً مع مخرج مثل صلاح أبوسيف بما سمي السينما الواقعية، التي شكّلت رهان آخر للسينما بعد حضور الفيلم الغنائي مع مؤسسي الأغنية العربية في تلك الفترة. ولقد كتب محفوظ ما يُقارب 26 سيناريو للسينما، مثلما أضحت تجربته الروائية مادة خصبة للكُتّاب في تحويلها للسينما، حيث تم تحويل ما يقارب من 25 عمل أدبي له للسينما.

framdan@alwatannews.net

ببلوغرافيا سينما نجيب محفوظ

نعرض هنا اهم أعمال الروائي المصري نجيب محفوظ- الذي رحل عن عالمنا في أغسطس الماضي/آب عن عمر يناهز95عاماً- التي تحولت إلى أفلام سينمائية:

1- الوحش (1954 للمخرج صلاح أبو سيف)
2- فتوات الحسينية (1954 صلاح أبو سيف)
3- درب المهابيل (1955 توفيق صالح)
4- بين السماء والأرض (1959 صلاح أبو سيف)
5- بداية ونهاية (1960 صلاح ابو سيف)
6- اللص والكلاب (1962 كمال الشيخ)
7- زقاق المدق (1963 حسن الإمام)
8 الطريق (1964 حسام الدين مصطفى)
9- بين القصرين (1964 حسن الإمام)
10- القاهرة30 (1966 صلاح أبو سيف)
11- خان الخليلي (1966 عاطف سالم)
12- السمان والخريف 1967 (حسام الدين مصطفى)
13 - قصر الشوق (1967 حسن الامام)
14 - ثلاث قصص (1968 كمال الشيخ وحسن الامام)
15- ميرامار (1969 كمال الشيخ)
16- السراب (1970 أنور الشناوي)
17- الاختيار (1971 يوسف شاهين)
18- ثرثرة فوق النيل (1971 حسين كمال)
19- صور ممنوعة (1972 مجموعة مخرجين منهم مدكور ثابت ومحمد عبد العزيز وأشرف فهمي)
20- السكرية (1973 حسن الإمام)
21- الشحات (1973 حسام الدين مصطفى)
22- الحب تحت المطر (1975 حسين كمال)
23- الكرنك (1975 علي بدرخان)
24- المذنبون (1976 حسين كمال)
25- المجرم (1978 سعيد مرزوق)
26- الشريدة (1980 أشرف فهمي)
27- الشيطان يعظ (1981 أشرف فهمي)
28- أهل القمة (1981 علي بدرخان)
29- فتوات بولاق (1980 يحيى العلمي)
30- وكالة البلح (1982 حسام الدين مصطفى)
31- الخادمة (1984 أشرف فهمي)
32- أيوب (1984 هاني لاشين)
34- المطارد (1985 سمير سيف)
35- دنيا الله (1985 حسن الإمام)
36- شهد الملكة (1985 حسام الدين مصطفى)
37- التوت والنبوت 1986 (نيازي مصطفى)
38- الحب فوق هضبة الهرم (1986 عاطف الطيب)
39- عصر الحب (1986 حسن الإمام)
40- الحرافيش (1986 حسام الدين مصطفى)
41- الجوع (1986 علي بدرخان)
42- وصمة عار (1986 أشرف فهمي)
43- أصدقاء الشيطان (1988 أحمد ياسين)
44- قلب الليل (1989 عاطف الطيب)
45- ليل وخونة (1990 أشرف فهمي)
46- نور العيون (1991 حسين كمال)
47- سماره الأمير (1992 أحمد يحيى)